أسبابُ النُزُول
وأثرُهَا في التّفْسِير

الدكتورة
منى عبد الغني شعبان
إعدادية الأعظمية للبنين

المستخلص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

التفسير القرآني يأتي بالدرجة الأولى من العلوم القرآنية ؛ لتعلقه بكتاب الله ،فأهميتُه من أهميتِه، يضاف الى ذلك احتوائه على كلّ العلوم، فعلمُ التفسيرِ حاوٍ لعلوم الحديث واللغةِ والسيرة والفقه.

وقد اخترتُ واحداً من العلوم المتعلقة بالتفسير وهو علم أسباب النزول، وهو من العلوم الملحقة بالتفسير إن لم يكن جزءًا مهماً من التفسير-قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة السياق: «ومنها - أي أسباب النزول - ما ينبّه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام» .

وبمعرفة سبب النزول تندفع الكثير من الإشكالات فقد يكون ظاهر الآية شيء وحقيقة نزولها شيئاً آخر. فظاهر الآية يوحي بتجّنب التهلكة، أما حقيقتها وسببها فالعكس تماماً؛ فإنّ الأنصار لما كثُر الداخلون في الإسلام أرادوا ترك الجهاد-لوجود من يكفي عنهم-والالتفات الى أراضيهم ومزارعهم فبيّنت الآية إن التهلكة بعينها هي ترك الجهاد

❊ ❊ ❊

Abstract

Praise be to God, and blessings and peace be upon the Messenger of God, his family and companions, and from his family, and after: The Qur'anic interpretation comes primarily from the Qur'anic sciences, because it relates to the Book of God, as it is important because of its importance, in addition to that it contains all the sciences, as the science of interpretation includes the sciences of hadith, language, biography and jurisprudence.

I chose one of the sciences related to the interpretation, which is the science of the reasons for descent, and it is one of the sciences attached to the interpretation if it is not an important part of the interpretation. Rhetoric to follow the requirements of the stations, one of the reasons for the descent is what helps to portray the shrine of speech.

Knowing the reason for the descent, many problems arise, so the apparent meaning of the verse may be one thing, and the fact that it descends is another. The apparent meaning of the verse suggests avoiding perish, but its truth and its cause are completely the opposite. Supporters of what many in Islam wanted to leave jihad - for the presence of those who are sufficient for them - and pay attention to their lands and farms.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

التفسير القرآني يأتي بالدرجة الأولى من العلوم القرآنية ؛ لتعلقه بكتاب الله ،فأهميتُه من أهميتِه، يضاف الى ذلك احتوائه على كلّ العلوم، فعلمُ التفسيرِ حاوٍ لعلوم الحديث واللغةِ والسيرة والفقه.

وقد اخترتُ واحداً من العلوم المتعلقة بالتفسير وهو علم أسباب النزول، وهو من العلوم الملحقة بالتفسير إن لم يكن جزءًا مهماً من التفسير[1] قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة السياق: «ومنها – أي أسباب النزول – ما ينبّه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام»[2] .

وبمعرفة سبب النزول تندفع الكثير من الإشكالات فقد يكون ظاهر الآية شيء وحقيقة نزولها شيئاً آخر. كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾[3] فظاهر الآية يوحي بتجّنب التهلكة، أما حقيقتها وسببها فالعكس تماماً؛ فإنّ الأنصار لما كثُر الداخلون في الإسلام أرادوا ترك الجهاد–لوجود من يكفي عنهم–والالتفات الى أراضيهم ومزارعهم فبيّنت الآية إن التهلكة بعينها هي ترك الجهاد[4]!؟

(١) قال السيوطي في لباب النقول: ١/ ١٣ :لمعرفة أسباب النزول فوائد وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التأريخ ومن فوائده الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال ، قال الواحدي لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها ، وقال ابن دقيق العيد :بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن ، وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

(٢) التحرير والتنوير ،لابن عاشور– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ هـ:١/ ٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ١٥.

(٤) ينظر:تفسير القرآن العظيم، لابن كثير–أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت:٧٧٤هـ)، دار الفكر ،

● **أهمية البحث:**

يكاد علم أسباب النزول يكون أكثر العلوم تأثيراً في التفسير لتعلّق غالب آيات القرآن بسبب لنزولها، ومن المعلوم أن القرآن نزل مفرقاً بحسب الحوادث طيلة مدة الدعوة النبوية التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة، وهو أحد العلوم الإسلامية المهتمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن والقضايا والحوادث المتعلقة بها وكذلك وقت ومكان نزول الآية وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها فهمًا صحيحًا، ومعرفة الحكمة من الأحكام القرآنية؛ لذا فيعتبر أحد أهم فروع علم تفسير القرآن.

● **منهج البحث:**

اتبعتُ منهجاً استقصائيا تفصيليا فبيّنتُ معنى أسباب النزول في اللغة والاصطلاح والآثار التي وردت في ذلك.

● **خطة البحث:**

اقتضت خطة البحث أن يُقسّم على مبحثين ؛

ففي المبحث الأول تناولتُ معنى أسباب النزول في اللغة والاصطلاح، ومفهومها عند أهل الاختصاص، وبالتالي قسمته على مطلبين.

وفي المبحث الثاني بيّنتُ أهم طرق معرفة أسباب النزول وفوائدها على مطلبين.

وفي المبحث الثالث تحدثتُ عن صيغ وتعدد أسباب النزول.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

ثم ذكرت المصادر والمراجع التي اعتمدتها في بحثي.

❊ ❊ ❊

بيروت،١٤٠١هـ :١/ ٥٢٨.

المبحث الاول

التعريف بأسباب النزول

●**وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: أسباب النزول لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: مفهوم أسباب النزول

●**المطلب الأول: أسباب النزول لغةً واصطلاحاً**

الفرع الأول: أسباب النزول لغة: متكونة من كلمتين:

الأسباب لغة: هو جمعُ سبَبٍ، وهوَ ما كانَ مُتّصلاً بينَ اثنين، وبَينهُم أُسْبُوبةٍ وأَسَابيب[١] .

وقال الرازي: «السَّبَبُ: الْحَبْلُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ» [٢] .

واصطلاحاً: هو الوصفُ الظاهرُ المنضبطْ الذي أضافَ الشارعُ إليهِ الحكمَ، ويلزمُ من وجودُه الوجودَ ومنْ عدمِهِ العدمُ لذاتِه [٣].

وفي الحديث : «وَإِنْ كَانَ رِزْقُه فِي الْأَسْبَاب»[٤] أَي؛ فِي طُرُقِ السماءِ وأَبوابها. [٥]

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، مادة (سبب): ص/ ٢٨٠.

(٢) مختار الصحاح ، للرازي-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت : ٦٦٠هـ) تحقيق: محمود خاطر ،مكتبة ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ص/ ١٤٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي،ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ٢/ ٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الجزري- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م: ٢/ ٣٢٩.

(٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)

النزول لغة: الحلول تقول نزَلْتُ نزولاً ومَنزلاً[1] .

هو مصدرٌ للفعلِ نزلْ، (فالنون، والزاء، واللام)، كلمةٌ صَحيحةٌ تدلّ على هُبوطِ الشيءِ وَوُقوعِه[2]، ومنه نزلَ بالمكانِ، ونزلَ في المكان، نزلةً واحدةً، ونزلَ من علوٍّ إلى سَفَل[3] .

الفرع الثاني: أسباب النزول اصطلاحاً :

هو الواقعةُ أو السؤالُ الذي نزلتْ الآيةُ أو السورةُ عقبهُ بياناً له[4] ، فهو الأمر الذي حدث ووقع، ولأجله نزلت الآية أو الآيات أو السورة، وهذا الأمر إما حادثة حدثت فردية أو جماعية بسيطة أو عظيمة أو سؤال يوجه الى النبي ﷺ فتنزل الآيات لتبيّن جوابه أو لتعلّق على الحدث وتوجه المسلمين الى ما يريده الله سبحانه ومن هنا سبب النزول ما نزل قرآن بشانه وقت وقوعه كحادثة او سؤال فينبغي أن يكون النص النازل عقب الحادثة او السؤال مباشرة[5] ، وهو العلم الذي يسرد الروايات والأقوال في أسباب نزول آيات وسور القرآن الكريم استنادا للصحيح من مرويات الكتاب الحكيم والسنة المطهرة ومرويات الصحابة ﷺ على أنه: «ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له او مبينة لحكمه من حادثة او سؤال»[6].

، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت(الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، كتاب التفسير، سورة ص: ٦/ ١٢٤، برقم (٤٨٠٧) عن ابن عباس(رضي الله عنهما)

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري - أبي نصر إسماعيل بن حماد(ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٥/ ١٨٢٩ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، لأبي الحسين محمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م:٥/ ٤١٧.

(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٦٢٨.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م : ١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: الوجيز في علوم الكتاب العزيز، د محمد خازر المجالي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط٥، ٢٠١٠م:ص/ ٦٨.

(٦) دراسات في علوم القرآن والتفسير، د احمد محمد مفلح القضاة، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م:ص/ ٧٢.

الفرع الثالث: أهم المؤلفات في هذا العلم:

المؤلفات [1] في أسباب النزول.

١- تفصيل لأسباب التنزيل عن ميمون بن مهران (ت:١١٧هـ) .

٢- أسباب النزول للإمام علي بن المديني (ت:٢٣٤هـ).

٣- القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن للمحدث القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطيس (ت:٤٠٢هـ).

٤- أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ).

٥- «أسباب النزول» للإمام أبي الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٦- العجاب في بيان الأسباب» للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ).

٧- لباب النقول في أسباب النزول» للحافظ جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ). [2]

●المطلب الثاني: مفهوم أسباب النزول

يرى أهل العلم أن القرآن نزل على قسمين:[3].

١- قسم نزل ابتداء، وهو غير متصل بسبب ، وهو أكثر القرآن.

٢- قسم نزل عقب واقعة أو سؤال، وهو متصلاً بسبب من الأسباب، ومن هذه الأسباب:

أ. الحوادث التي وقعت أيام الرسول ﷺ.

من ذلك ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾[4] : «نزلت في خصومة دبّت بين الاوس والخزرج»: لما رأى شاس بن قيس اليهودي أُلفة الأوس والخزرج في الإسلام بعد ما كان بينهم في الجاهلية من العدوان قال والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، فأمر من يذكّرهم بوقائعهم يوم بعاث، وما جرى فيه من القتل بينهم والسلب ليوقع بينهم الشحناء ويثير الضغائن الكامنة في قلوبهم،

(١) حسب القِدَم.

(٢) مقدمة كتاب العجاب في بيان الأسباب، لمحققه: عبد الحكيم الأنيس:١/ ٨٣.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

والفتنة قائمة لعن الله من أيقظها ولا سيما والناس كانوا قريبي عهد بالإسلام، فذكروهم ولا زالوا يثيرون بينهم ما وقع منهم زمن الجاهلية، حتى استفز أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ من بني حارثة الأوسي وَجَبّارُ بْنُ صَخْرٍ من بني سلمة الخزرجي، فتفاخروا وتماروا بما أغضب الفريقين، وحملهما على حمل السلاح وخرجا إلى الحرة ليتقاتلا، قاتل الله اليهود ما ألعنهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأخذ المهاجرين وخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فقال أجاهلية وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وقد أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟ تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا، اللهَ اللهَ ، فوقع كلامه فيهم موقعا بعيدا وزاح عنهم ما بينهم وعرفوا أنها نزعة شيطانية قام بها أعداؤهم اليهود، فألقوا السلاح وتعانقوا، وتباكَوا ورجعوا مع حضرة الرسول سامعين مطيعين، قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخراً من ذلك اليوم، فأنزل الله الآية» [1].

ب. ومنه ما أُنزل لسؤال بعض المؤمنين.

ففي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ﴾[2] ، قصةَ مرثد الغنوي لما أرسله الرسول إلى مكة لإخراج بعض المستضعفين من المسلمين في مكة فعرضت امرأة نفسها عليه فأبى خوفا من الله تعالى، وطلبت الزواج به فاستمهلها لسؤال حضرة الرسول ﷺ، وكانت ذات جمال ومال فلما رجع إلى المدينة عرض قولها عليه فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ﴾[3][4] .

ج. ومنه ما أنزل في جواب من سأل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾[5] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري(ت: ٢١٨هـ) ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م: ١/ ٥٥٥، وينظر: أسباب النزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١ ه-١٩٩١م-: ص/ ١١٩.

(٢) سورة البقرة، من الاية: ٢٢١.

(٣) ينظر: وينظر: أسباب النزول، للواحدي:ص/ ٧٤.

(٤) رواها مقاتل في تفسيره: ١/ ١٩٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/ ٣٩٨ .

(٥) سورة البقرة: من الآية/ ٢١٩، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، قَالَ عُمَرُرضي الله عنه: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا» . فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت ٢٧٩ه)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء

يُنفِقُونَ ﴾[1] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[2].

د. ومنها ما ينزل بدون حادث، وكلما ترى حكما لم يذكر له المفسرون حادثاً أنزل الحكم مرتبا عليه[3].

التراث العربي، بيروت، كتاب التفسير، باب سورة المائدة: ٥/ ١٠٣، برقم (٣٠٤٩) ، قال الترمذي: مرسل، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري- أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م، كتاب التفسير: ٢/ ٣٠٥، برقم (٣١٠١)، قال الذهبي: على شرط الشيخين.

(١) سورة البقرة: من الآية/ ٢١٥، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] قَالَ: «الْفَضْلُ عَلَى الْعِيَالِ» المعجم الكبير، للطبراني- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ،القاهرة، فيما حدث به ابن عباس: ١١/ ٣٨٦، برقم (١٢٠٧٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ٣١٩: « فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَهُوَ سَيِّئُ الْحِفْظِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ».

(٢) سورة البقرة: من الآية/ ٢٢٢، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ»، صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، كتاب الحيض، باب جَوَازِ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ : ١/ ١٦٩، برقم (٧٢٠).

(٣) ينظر: مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م: ١/ ١٢٧.

المبحث الثاني

طرق معرفة أسباب النزول وفوائدها

●**وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: طرق معرفة أسباب النزول

المطلب الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول

●**المطلب الأول: طرق معرفة أسباب النزول**

ثمة طرق كثيرة لمعرفة أسباب النزول منها إخبار الصحابي عن سبب نزول الآية فذكر الواحدي : «وَلَا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَوَقَفُوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا وَجَدُّوا فِي الطِّلَابِ ، أي بالَغُوا في طلبِ العِلم، فالمعوَّل عليهِ في أسبابِ النزول: هم الصحابةُ، ومن أخذَ عَنْهم من التابعين»[1].

ولا شك أنّ معرفة أسباب النزول مهمة كل الأهميّة في التفسير على ما ذكر العلماء، لذا يعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة، ويرَوْن أنه لا يحل القولُ في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، فالنقل الصحيح هو الطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول، وقد يكون سبب النزول مروياً عن صحابي وقد يكون عن تابعي، فإن كان عن صحابي فحكمُهُ الرفع إلى النبي ﷺ ؛ لأن قوله في محل لا مجال للإجتهاد فيه[2]، كما جاء في سبب نزول قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾[3]

(١) أسباب النزول، للواحدي:ص/ ٢١.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١١٥، ومناهل العرفان: ١/ ١١٥ .

(٣) سورة البقرة:الآية/ ١٩٨

، إذ يقول ابن عباس(رضي الله عنهما) في سبب نزولها: « كانت عُكَاظ ومِجَنّة وذو المِجَاز أسواقاً في الجاهلية فلمّا كان الإسلام تأثَّمُوا أن يتَّجِروا في المواسمِ كَمَا كانوا قبلا فنزلتْ هذه الآية»[1].

قال السيوطي: «أمّا إنْ كان راوِيه تابعياً فحكمه أن لا يقبل إلا إذا اعتضد بمرسل آخر أو كان راويه من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة، كمجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[3] ، إذ يقول عكرمة: « نزلت هذه الآية في بدر الصغرى»[4]، كما ذكر أقوال تابعي التابعين، كما في قوله تعالى:﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ « [5] .

يقول مقاتل: «نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَإِنَّ رَجُلًا شَتَمَهُ فَسَكَتَ مِرَارًا، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: شَتَمَنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ قُمْتَ، قَالَ: إِنَّ مَلَكًا كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَجْلِسْ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّيْطَانِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»[6].

●المطلب الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول

بيّن علماء التفسير فوائد كثيرة لأسباب النزول، منها:

١- تعدّ معرفةُ أسباب النزول من المصادر المهمة لفهم الآية فهماً صحيحاً، وتفسيرها فعن

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، برقم (٢٠٥٠).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١/ ١١٥، ومناهل العرفان:١/ ١١٥ .

(٣) سورة آل عمران: الآية/ ١٧٣.

(٤) بدر الصغرى: سميت بهذا الإسم لأنها ما وقعت أصلًا فقد توعّد أبو سفيان المسلمين بأن يجتثّ آثارهم بعد أن انتصر في معركة أحد ، واجتمع المسلمون في بدر في شعبان من السنة الرابعة ولكن المشركين لم يأتوا. ينظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٤٠، ٤١٠، ودلائل النبوة للبيهقي- أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م: ٣/ ٣٨٤.

(٥) سورة النساء: الآية/ ١٤٩.

(٦) مسند البزار ،البزار-أبو بكر أحمد بن عمر (ت:٢٩٢هـ)، تحقيق:محفوظ عبد الرحمن، مؤسسة علوم القرآن،بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م:١٥/ ١٥٧، برقم (٨٤٩٥)، قال في مغني الاسفار: ١/ ١٠٧٦: اسناده صحيح.

طريقها يتمكن المفسرُ أن يقف على الحكمة الإلهية التي من أجلها نزلت الآية(١) كما في قضية التدرج في النهي عن الخمر، فلو كان النهيُ مرةً واحدة لاستصعب الأمرُ على الناس، بل ربما ماامتنع أحد.

٢- تعينُ على تيسير الحفظِ وتثبيت المعنى، فإنّ ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص بالأزمنة والأمكنة يقرر المعلومات، وتركيزها.

٣- كما تفيدنا في معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[٢]، كما في قضية إتيان النساء.[٣]

قال الإمام الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآيات دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها»[٤]، ويقول ابن تيمية : «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».[٥] ، وقال الشاطبي : «معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن... ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بالأبد»[٦].

فالعلمُ بأسباب النزول من العلوم التي لا غنى عنه للمفسّر والتفسير ومن قال لا طائل في معرفة أسباب النزول وبين فوائد معرفته، يقول الملا حويش: «وقد أخطأ من قال لا طائل تحت

(١) ينظر : الموجز في علوم القرآن الكريم، عبد العظيم المشيخص ، دار الرسول الاكرم،ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م:ص/ ١٥٢-١٥٣ .

(٢) ينظر: اللالئ الحسان في علوم القرآن، لموسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م:ص/ ١٣١.

(٣) روى البخاري في صحيحه ، بَاب ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، : ٦/ ٢٩، برقم (٤٥٢٨) : «عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعْتُ جَابِرًا رضي الله عنه قَالَ كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَنَزَلَتْ ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾»

(٤) ينظر: أسباب النـزول، للواحدي: ص/ ٨.

(٥) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصرِ الطَّيَّار، دار ابن الجوزي،ط٢، ١٤٢٨ هـ:ص/ ٩٠.

(٦) الموافقات في اصول الاحكام: أبو اسحاق ابراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار الفكر، بيروت:٢/ ٢٠١.

بيان أسباب النزول ؛ لأن فيه معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ، ولأن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته لأن دخول صورة السبب قطعي ، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، ولأن الوقوف على المعنى وازالة الاشكال لا يمكن إلا بمعرفة سبب النزول غالبا فسبب النزول طريق قوي في فهم بعض معاني القرآن؛ لأنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[1].

❊ ❊ ❊

(١) بيان المعاني ، ملا حويش- عبد القادر بن ملاّ حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي ، دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٥ م: ١/ ٢٦.

المبحث الثالث

صيغ وتعدد أسباب النزول

●**وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: صيغ التعبير في أسباب النزول

المطلب الثاني: تعدد الأسباب والنزول واحد

●**المطلب الأول: صيغ التعبير في أسباب النزول**

تتعدد الصيغ المعبرة عن أسباب النزول عند العلماء فجاءت تلك الصيغ متباينة في التصريح بالسببية على ما يأتي:

أولا: (إن سبب نزول هذه هو كذا...) وهذا نصا في التعبير عن السبب فهي صريحةً لا يحتمل غيرها، فمن ذلك:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[1] عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [2] تَلَا إِلَى قَوْلِهِ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [3] الْآيَةُ. فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ﴾.

(١) سورة الزمر: الآية/ ٢٣

(٢) سورة يوسف:من الآية/ ١.

(٣) سورة يوسف:من الآية/ ٣.

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [1] «الْآيَةُ كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُ بِالْقُرْآنِ»[2].

ثانيا: يؤتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة (نزول) أو ما في محلها عقب سرد الحادثة أو السؤال، فتلك الصيغ تُعد صريحة في السببية، وهذه أكثر الأساليب استخداماً في إيرادها لأسباب النزول ومن امثله ذلك: من ذلك قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[3] «روى البخاري عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا أَعِنْدَكِ طَعَامٌ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَيْبَةً لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»[4].

أما ما نزل بسبب حادثة، فقوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[5] ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ. فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ هذهِ الآيَة» [6].

ثالثاً: إذا كانت صيغة ظنية الدلالة على السببية أي؛ محتملة، تحتمل السبب وتحتمل بيان ما تتضمنه الآية من حكم أو معنى، وذلك بأن يقال (نزلت في كذا)،(نزلت هذه الآية) فيقول ابن تيمية (رحمه الله): «وقولهم نزلت هذهِ الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أنّ هذا داخل في الآية، وإن لم يكن السبب كما تقول: عُني بهذهِ الآية كذا»[7]، فإنّ القرائن

(١) سورة الزمر:من الآية/ ٢٣.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم ، بيروت:ص/ ١٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ١٨٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله جل ذكره برقم (١٩١٥)، وأسباب النزول، للواحدي:ص/ ٥٤.

(٥) سورةالإسراء، الآية: ٨٥.

(٦) سنن الترمذي،كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة بني إسرائيل :٥/ ٣٠٤، برقم(٣١٤٠)، قال الترمذي:حديث حسن صحيح، وأسباب النزول، للواحدي:ص/ ٢٩٩.

(٧) مقدمة في أصول التفسير:ص/ ٤٨.

هي وحدها الطريق لمعرفة المراد بهذهِ العبارة، فتارة تُحمل على التفسير إن ذُكر فيها معنى تدلّ عليه الآية، وتارة تُحمل على سبب النزول إن ذكر فيها شخص من الأشخاص، أو حادثة من الحوادث [1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2].

« نزلت هذه الآيات في الحارثِ بْنُ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وطُعْمَةَ بْنِ أُبَيْرِقٍ، وَوَحْوَحَ بْنَ الْأَسْلَتِ ورُفَقائِهم التّسْعة الذينَ ارتَدّوا عن الإسلامِ وخَرَجُوا من المدينة إلى مكّة كفاراً، وقدْ نَدِمَ أحَدُهم وهوَ الحارثُ وأرسلَ لحضرةِ الرسولِ ﷺ بقبول توبته» [3].

ما لا يحتمل السببية: كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [4] « قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهَّ (عَزَّ وَجَلَّ) ثُمَّ بَعَثَ اللهُّ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ » [5] ويلاحظ بأن قول ابن عباس رضي الله عنه تفسير للآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [6] « قال ابن عباس: وشهادة الزور وكتمان الشهادة، وقال لما حرم الله الربا أباح السلف، وقال أَشْهَدُ أَنَّ

(١) ينظر: مناهل العرفان:ص/ ٨٧، واللالئ الحسان في علوم القرآن: ص/ ١٤٦- ١٤٧.

(٢) سورة آل عمران: الآيات/ ٨٧ - ٩٠

(٣) المصنف، لابن أبي شيبة- أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ، الرياض، ط١، ١٤٠٩م، كتاب المغازي، باب معركة أحد: ٧/ ٣٧٠، برقم(٣٦٧٧٨)، وينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول:ص/ ٤٥.

(٤) سورة البقرة: الآية/ ٢٦٦.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، بَاب ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾: ٦/ ٣١، برقم (٤٥٣٧).

(٦) سورة البقرة: الآية/ ٢٨٣.

السَّلَفَ الْمُضْمُونَ، إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إِنَّ اللهَّ أَحَلَّهُ وَأَذِنَ فِيهِ ، وهذا سبب نزول هذه الآية» [١].

ويلاحَظ أنَّ هذه الصيغ على اختلاف أنواعها وردت فيه، إلا إنها تتباين كثرة وقلة، وأنّ أكثر الصيغ وروداً هي الصيغة التي تدخل فيها الفاء على مادة (لنزول) بعد سرد الحادثة أو ذكر شخصية، ثم تليها العبارة القائلة : (نزلت في كذا)،(نزلت هذه الآية) فإنّ أكثر الروايات التي جاءت بهذه الصيغة أريد بها السببية، والدليل على ذلك أنّ اكثرها جاءت بعد ذكر شخصيات أو حادثة ثم تليها العبارة القائلة: (إنّ سبب نزول هذه هو كذا... [٢].

●المطلب الثاني: تعدد الأسباب والنزول واحد

قد يكون سببُ النزول في أكثر من وقعة، وتكون هذه الوقائع متشابهة فينزل من القرآن نصٌ يحكم عليها جميعاً، وبذلك يتعدد سبب النزول للآية الواحدة، ويكون النازل آية أو آيات في موضع واحد [٣].

●الفرع الأول: أمثلة على تعدد أسباب النزول:

لا ضير في تعدد أسباب النزول، فقد تكون آية واحدة لأسباب كثيرة[٤].

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ... إلى قوله تعالى... لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٥]، هناك روايتان في سبب نزولها: أولاهما: «أنّ العباسرضي الله عنهافْتَخَرَ بِالسِّقَايَةِ، وَشَيْبَةُ بِالْعِمَارَةِ، وَعَلِيٌّرضي الله عنه بِالْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ، فَصَدَّقَ اللهُ عَلِيًّا وَكَذَّبَهُمَا، فنزلت هذه الآيات»[٦].

والثانية ما رواه مسلم عن النّعمان بن بشير قال: «كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ

(١) المعجم الكبير، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م:١٢/ ٢٥٢، برقم (١٣٠٢٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١١٥: إسناده حسن.

(٢) ينظر: لباب النقول: ص/ ٥، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ١١٢-١١٥.

(٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي صالح:ص/ ١٤٢.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٢٢.

(٥) سورة التوبة: الآية/ ١٧ - ١٩.

(٦) أسباب النزول، للواحدي:ص/ ٢٤٧-٢٤٨.

عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية»[1].

وفي قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[2]، هناك أقوالٌ كثيرة في سبب نزولها وهي:

١. نزلت هذه الآية في المشركين الذين منعوا رسول الله وأصحابه من الصلاة في المسجد الحرام حينما كان في مكة، وهي نزلت في الأخنس بن شريق[3].

٢. وقال الحسن وقتادة إنها نزلت في بختنصر حينما خرب بيت المقدس، وهذا كان قبل المسيح[4].

٣. عن ابن عباس إنها نزلت في طيطوس الرومي الذي غزا بني إسرائيل فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وأحرق التوراة ومنع إقامة ذكر الله فيه[5].

ويُلاحظ أنّ من قال إنها نزلت بحق اليهود او بحق النصارى، ليس بسديد ؛ لأن الآيات قبلها بحق اليهود ، وكذلك لا يصح نزولها بحق المشركين ، إذ لم يسبق لهم ذكر ، ولم يسبق ذكر المسجد الحرام في هذه الآيات.

ويُردّ على من يقول بأنها نزلت بحق المشركين، هو أن القائل به قال إنها كانت عام الحديبية ، وحادثتها وقعت في السنة السادسة من الهجرة ، وهذه السورة من أول ما نزل في المدينة كما علمت فلا تتفق مع قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ ، وثمةَ قول آخر بأنها نزلت في المشركين الذين ألجئوا حضرة الرسول وأصحابه إلى الهجرة، ومنعوهم بسببها من أن يذكروا

(١) صحيح مسلم،كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى:٣/ ١٤٩٩،برقم (١١١)، وأسباب النزول:ص/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) سورة البقرة: الاية/ ١١٤.

(٣) ينظر: لباب النقول:ص/ ١٦.

(٤) ينظر: أسباب النزول، للواحدي:ص/ ٣٩.

(٥) ينظر: أسباب النزول، للواحدي:ص/ ٣٩.

اللهّ في المسجد من صلاة وغيرها ، وكأنهم بذلك سعوا في خرابها؛ لأنها أنشئت لإقامة الصلاة والذكر، فإذا انقطعت عنها فكأنها خربت، وفي هذا التأويل صرف الحقيقة إلى المجاز، والعدول إلى خلاف الظاهر وهو وجيه ، إلا أن سياق الآية ينافيه ، وعدم سبق الذكر يبعده؛ لأن هذه الحادثة في مكة، ولم يقل أحد بمكية هذه الآية ، على أنّ كلا من الحوادث الثلاث صالحة لسبب النزول لو كانت منطبقة عليها، وقد ذكرنا غير مرة أن تعدد الأسباب جائز، أي بأن تكون آية واحدة لعدة حوادث وأسباب كثيرة، إذ لا مانع من تعدد أسباب النزل، ولكن الأولى أن يكون في حق اليهودِ خاصة، وذلك لما حولت القبلة إلى الكعبة شقّ عليهم فصاروا يمنعون الناس من التوجه إليها ويحملونهم على تخريب الكعبة وسعوا في تخريب مسجد الرسول في المدينة، فعابهم الله تعالى وبين سوء طريقتهم التي سلكوها في ذلك؛ لأن الآيات السابقة جاء سياقها بالتشنيع على أفعالهم، والآية الآتية كذلك، فكونها فيهم أولى؛ لأن المشركين لا بحث فيهم قبلها ولا بعدها[1].

●**الفرع الثاني: طرق الترجيح بين الروايات:**

اعتمد المفسّرون طرقاً للترجيح في بيان أسباب النزول وهي على الترتيب:

أولاً: ترجيح الصحيح على الضعيف: ففي نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [2] الآية، روى أصحاب الصحيح عن ابن عبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَ) : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللهُّ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ» [3]

فهذا الحديث هو سبب نزول الآية لصحةِ إسناده وليس ما رواه أحمد من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ: «عَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِضَمَ، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ»، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنَا عَامِرٌ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ، لَهُ مَعَهُ مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا، سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ،

(١) ينظر: بيان المعاني:٥/ ٧٨.

(٢) سورة النساء: من الآية/ ٩٤.

(٣) صحيح البخاري، بَاب ﴿ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ :٦/ ٤٧، برقم (٤٥٩١).

وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيِّعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ..﴾ الآية.(١)

فإن هذا الحديث ضعيف لا يقارب حديث ابن عبَّاسٍ في صحة الإسناد.

ثانياً: الترجيح بتقديم صاحب القصة على غيره: من ضوابط الترجيح عند العلماء بين الروايات عند اختلافها تقديم ما رواه صاحب القصة على غيره لأنه أعلم بملابساتها، مثال ذلك: ما ورد عن عبد اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (من حلف على يمين وهو فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان) قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: (ألك بيّنة؟) قال: قلت: لا، قال: فقال لليهودي: (احلف). قال: قلت: يا رسول الله! إذن يحلف ويذهب بمالي قال: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهَّ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴾ الآية.(٢)

ثالثاً: الترجيح بتقديم قول الشاهد للسبب على الغائب عنه: من ضوابط الترجيح بين الروايات عند اختلافها، وعدم إمكان الجمع بينها تقديم رواية من باشر القصة أو حضرها، مثال ذلك: ما رويَ «عن أبي أُمامة التيمي قال: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نُكْرِي، فَهَلْ لَنَا مِنْ حَجٍّ؟ قال: أَلَيْسَ تَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَتَأْتُونَ الْمُعَرَّفَ، وَتَرْمُونَ الْجِمَارَ، وَتَحْلِقُونَ رُءُوسَكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي، فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عليه السلام بهذه الآية: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) فدعاه النبي ﷺ فقال: «أَنْتُمْ حُجَّاجٌ »(٣)

رابعاً: الترجيح بدلالة الوقائع القرآنية: لتاريخ النزول القرآني قَرُبَ أم بَعُدَ دوره الحيوي في الترجيح بين الروايات الواردة في أسباب النزول، مثال ذلك: أنكر البغوي نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُّ وَاللهُّ خَيْرُ

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٩/ ٣١٠، برقم (٢٣٨٨١).

(٢) سنن الترمذي، باب تفسير سورة آل عمران: ٥/ ٧٤، برقم (٢٩٩٦) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد: ١٠/ ٤٧٣، برقم (٦٤٣٣).

الْمَاكِرِينَ﴾ [1] أنكر أن يكون سبب نزولها ما أخرجه أحمد «عن ابن عبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قال: تشاورت قريش ليلةً بمكة فقال بعضهم: إذا أَصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك» .. الحديث[2].

قال البغوي: «واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا، وإذ قالوا اللهم؛ لأن هذه السورة مدنية، وهذا القول والمكر إنما كانا بمكة، ولكن اللهَّ ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تنَصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرُه آللهُ﴾» [3]

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنفال: من الآية/ ٣٠.

(٢) مسند الإمام أحمد : ٥/ ٣٠١، برقم (٣٢٥١)، قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٢٧: «فيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(٣) تفسير البغوي: ٢/ ٢٨٥.

المبحث الرابع

أثر أسباب النزول في تفسير القرآن

إن لأسباب النزول الأهمية الكبرى والأثر الأعظم في تفسير القرآن، فلا يجوز التصدي للتفسير بدون الإحاطة بمعرفة أسباب النزول ، فهذا العلم من أهم أسباب فهم معاني القرآن وكشف الغموض الذي تحتمله بعض الآيات.

ومن أهم آثار معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن ما يلي :

١- توضيح الحكمة التي أدّت الى تشريع الحكم: [١]

ويظهر هذا الأثر في كثير من الأحكام التي نزلت على أسباب تبين من خلالها مراعاة الشرع لمصالح العباد ، ك(تحريم الخمر) ، و(تشريع حكم اللعان) ، و(أحكام الطلاق) ، فقد ظهر من أسبابها مدى مراعاة تشريع تلك الأحكام لمصالح العباد، فسبب تحريم الخمر هو أنها تذهب العقل ويترتب على ذلك العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وظهر من خلال سبب نزول حكم اللعان أن الحكمة من تشريعه حماية عرض الزوجة من أن يُنتهك بغيرِ بيّنة ، وحماية ظهر الزوج القاذف من الحدّ حيث يتعذر عليه في الغالب أن يحضر بيئة على اقتراف امرأته لجريمة الزني، كما ظهر من سبب نزول تحديد الطلاق بثلاث تبين بعدها الزوجة أن الحكمة من ذلك رفع الظلم عن المرأة ، حيث كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ولا تبين منه ولو فعل ذلك ألف مرة ، فرفع الظلم عنها بهذا التشريع .

كما أن في معرفة حكمة تشريع الحكم تقعة للمؤمن والكافر ، فأما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ، ويحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بها ؛ لما يتجلى له فيها من المصالح ، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح العباد لا على الاستبداد والتحكم والطغيان. [٢]

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٨.

(٢) ينظر: مناهل العرفان: ١/ ١٠٢.

٢- الوقوف على المعنى الصحيح للآية ورفع الإشكال الذي يعتريها:[١]

فلو فسّرنا بعض الآيات بمنأى عن معرفة أسبابها تفسّر على غير وجهِها الصحيح ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] فهذه الآية إذا فُسّرت دون معرفة سبب نزولها فإن ظاهرها يدلّ على أنّ للإنسان أنْ يصلي إلى أي جهة شاء، ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام سواء كان في حضر أو سفر ، ولكن عندما يقف المفسر على سبب نزولها ، وهو أنها نزلت في من التبست عليه جهة القبلة فصلى باجتهاده ثم بان اله خطؤه، [٣] فتبيّن له عندئذٍ أن ظاهرها غير مراد .

٣- رفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الخصر: [٤]

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥] فظاهر هذه الآية أن المحرّمات محصورة في ما ذكر من الأصناف، وإذا وقفنا على سبب نزولها اتضح أن الحَصرَ فيها غير مقصود، وذلك أنّ سببَ نزولِها أنّ الكفارَ لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على الضد والمحادة في ذلك نزلت هذه الآية مناقضة لما بيّتوا ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه قال : لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حال ما وراءه ؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل.[٦]

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٨.، ومناهل العرفان: ١/ ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ١١٥.

(٣) ينظر: أسباب النزول، للواحدي: ص/ ١٨-١٩.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٣، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٩، ومناهل العرفان: ١/ ١٠٥.

(٥) سورة الأنعام :الآية/ ١٤٧.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٣، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٩، ومناهل العرفان: ١/ ١٠٥.

٤- تخصيص الحكم الوارد بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة خصوص السبب لا بعموم اللفظ.[١]

ويمكن أن يمثل هذا بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] فظاهر لفظِ الآية أن الوعيد فيها عام في كل من فرح بما أوتي أو أحبّ أن يُحمد بما لم يفعل، ولكن عند الوقوف على سبب نزولها يمكن أن يفهم منه أنّ الوعيدَ يختص بمن نزلت فيهم، وذلك أنه روي أن مروان بن الحكم قال لبوابه اذهب إلى ابن عباس فقال له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل يعذب لَنُعذبَنّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية إنما نزلت في أهل الكتاب ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٣] قال ابن عباس: سألهم النبيﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألهم عنه،[٤] فمن يرى العبرة بخصوص السبب يجعل الوعيد المذكور فيها خاصة بمن نزلت فيهم من أهل الكتاب، مع أنّ لفظها عام.

٥- قصر تخصيص الحكم العام - إذا ورد ما يخصصه - على ما عدا صورة السبب:

ذلك أنّ دخول صورة السبب قطعي فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد، وهذا ما عليه الجمهور، بل قد حكي الإجماع عليه،[٥] ويمكن أن يمثل هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ

(١) المصادر نفسها.

(٢) سورة آل عمران: الآية.

(٣) سورة آل عمران: الآية.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب بَاب ﴿ لاَ يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾: ٦/ ٤٠، برقم (٤٥٦٨)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين: ٨/ ١٢٢، برقم (٧٢١١).

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٣، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٨، ومباحث في علوم القرآن: ص/ ٧٩.

الْمُبِينُ﴾ [1] فهذه الآية نزلت في أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أو فيها وفي سائر أمهات المؤمنين، وقد خُصص وعبد من رمى المحصنات في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [2] بقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [3] فلو جعل هذا مخصصا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ..﴾ ، فإنّ هذا التخصيص لا يتناول من قذف أم المؤمنين عائشة – أو قذف سائر أمهات المؤمنين، فلا يكون لمن قذفهن توبة؛ لأن دخولهن في اللفظ العام قطعي. [4]

٦- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره، فيُتهم البريء ويُبرّأ المريب: [5] ويمثل هذا بما روي من أن مروان بن الحكم اتهم عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ..﴾ [6] ، فردّت عليه أم المؤمنين عائشة بقولها: «ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري «وفي رواية أنها قالت : «لو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته»[7]

فقد أفادت معرفة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بسبب نزول الآية رفع التهمة عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولعل سبب عدم تسميتها لمن نزلت فيه الآية الستر عليه كما ستر الله عليه بذكره بالوصف دون الاسم.

وبهذا يتضح مدى الأهمية والأثر البالغ لمعرفة أسباب النزول في تفسير القرآن على وجهه الصحيح .

(١) سورة النور: الآيات/ ٢٣-٢٥.
(٢) سورة النور: الآية/ ٤.
(٣) سورة النور: الآية/ ٥.
(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ص/ ٨٠.
(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٩، ومناهل العرفان: ١/ ١٠٦.
(٦) سورة الأحقاف:من الآية.
(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾: ٦/ ١٣٣، برقم (٤٨٢٧).

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع هذا العلم الذي يعدّ من أهم علوم القرآن المتعلقة بالتفسير، خلصنا الى النتائج الآتية:

١- أنها تُعين قاريء القرآن على فهمه فهمًا صحيحًا سليمًا، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب. يقول الواحدي: «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها».

٢- أنها تُيسِّرُ حفظ القرآن وتُثَبِّتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها.

٣- أنها تمكِّن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم الوارد في آية معينة في القرآن.

٤- أسباب النزول قسمان: قسم نزل بدون سبب، وهو أكثر القرآن، وقسم نزل مرتبط بسبب من الأسباب.

٥- تثبت أسباب النزول بالنقل الصحيح عن شاهد أو مستمع للحدث من الصحابة والتابعين وصحة سند الرواية.

٦- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك يعني أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصرًا على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكمًا عامًا في كل ما شابهها من وقائع ونوازل.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٢- أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٩م.

٣- أسباب النزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ-١٩٩م.

٤- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي،ط١ ، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٥- بيان المعاني ، ملا حويش- عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي ، دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٥ م.

٦- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت ٢٧٩ه)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح البخاري)- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت(الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

٨- دراسات في علوم القرآن والتفسير، د احمد محمد مفلح القضاة، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

٩- دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٠- السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري(ت: ٢١٨هـ) ، دار

الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١١- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مُساعِدُ بن سُلَيْمان بن نَاصِر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي،ط٢، ١٤٢٨ ه.

١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري - أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٣- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم، بيروت.

١٤- اللالئ الحسان في علوم القرآن، لموسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥- مباحث في علوم القرآن، للقطان- مناع بن خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٦- مختار الصحاح، للرازي-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت : ٦٦٠هـ) تحقيق: محمود خاطر ،مكتبة ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٧- مسند البزار، البزار-أبو بكر أحمد بن عمر (ت:٢٩٢هـ)، تحقيق:محفوظ عبد الرحمن، مؤسسة علوم القرآن،بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩- المعجم الكبير، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٢٠- مقاييس اللغة، لأبي الحسين محمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢١- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢٢- الموافقات في اصول الاحكام: أبو اسحاق ابراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- الموجز في علوم القرآن الكريم، عبد العظيم المشيخص ، دار الرسول الاكرم، ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م

٢٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الجزري- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٢٥- الوجيز في علوم الكتاب العزيز، د محمد خازر المجالي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط٥، ٢٠١٠م.

❊ ❊ ❊